Journal of Faslo el-khitab مجلة فصل الخطاب
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 14، عدد رقم:04، ديسمبر 2025، صص: 141- 155
تاريخ الاستلام(2025/06/12) تاريخ القبول (2025/11/17) تاريخ النشر (2025/12/30)

أزمة الذّات ووعي المقاومة في الشّعر الجزائري المعاصر "ديوان رفقاً أيّها الدّهر للشّاعر رمضان بن لطيف أنموذجاً"

The Crisis of the Self and the Awareness of Resistance in Contemporary Algerian Poetry: The Collection "Have Mercy, O Time" by the Poet Ramadan Bin Latif "as a Model

فاطمة الزهراء كامل[1]:
مخبر التّراث الأدبي الجزائري الرّسمي والهامشي
[1] جامعة سكيكدة (الجزائر)، fz.kamel@univ-skikda.dz

ملخص:

تسعى هذه المقاربة إلى استجلاء أزمة الذّات الفردية لدى التّجربة الشّعرية عند الشّاعر الجزائري رمضان بن لطيف من خلال طرح إشكالية الوعي التي تبرز في النّص الشّعري كرافد يجسّد وعي الذّات بنفسها ويعمد إلى تشكيل الوعي المقاوم ضد كل أشكال القهر والتّهميش.

كلمات مفتاحية: **الذّات؛ الأزمة؛ الوعي؛ التّهميش؛ المقاومة؛ رمضان بن لطيف**

Summary:

This approach seeks to elucidate the crisis of the individual self in the poetic experience of the Algerian poet Ramadan Ben Latif by raising the issue of consciousness that emerges in the poetic text as a tributary that embodies the self's awareness of itself and seeks to form a consciousness that resists all forms of oppression and marginalization.

Keywords: self; crisis; consciousness; marginalization; resistance; Ramadan Ben Latif

المؤلف المرسل: فاطمة الزهراء كامل، **الإيميل:** fz.kamel@univ-skikda.dz

1. مقدمة :

تُعد تجربة الشّاعر الجزائري رمضان بن لطيف وليدة سياقات اجتماعية وحضارية تعكس حسّه الدرامي والرّومانسي تجاه واقعه المرير، حيث تشكّل هذه الظّروف المتشابكة وراء تكوين وعيه الحسّي والجمالي، وكذا تعبيراً عن الجدل الحاصل بين المرجعي الموضوعي والوعي الذّاتي المخاتل لبنية النّص، من هنا يمكننا التّأسيس لفضاء نصّي تتداخل فيه الخطابات الاجتماعية، وكيف تأثّر في التّجربة الحسّية والجمالية للنّص الشّعري، الأمر الذي يدفعنا إلى طرح التّساؤلات الآتية: إلى أي مدى استطاع الشّاعر التّعبير عن انشغالات الذّات وهواجسها؟ كيف يسهم الوعي بالذّات في تصوير الذّات المأزومة في النّص؟

2.الإطار المفاهيمي:

1.2.مفهوم الذّات:

تعد الذّات مفهوماً نفسياً مقابلا لمفهوم الأنا، حيث "ينظر يونغ Jung (1953) إلى الذّات Self على أنّها تشمل ما هو شعوري وما هو لا شعوري وأنّها الجهاز المركزي للشّخصية الذي يضفي عليها وحدتها وتوازنها وثباتها، وأنّها هدف الحياة، وأنّها تحرّك السلوك وتُنظمه[1] وبالتّالي فإنّ مفهوم يونغ للذات يمزج بين ما هو الوعي الشعوري واللاوعي غير الشعوري وهي أداة من أدوات ضبط الشّخصية وتشكيلها السيكولوجي، حيث "تقوم على الفكرة التي يكوّنها الفرد عن نفسه بنفسه من خلال ما يتسم به من صفات وقدرات جسمية وعقلية وانفعالية بالإضافة إلى القيم والمعايير الاجتماعية التي ينتمي إليها[2]" فهي بذلك جهاز نفسي رقابي لنشاط الفرد.

2.2. مفهوم الوعي:

يعد الوعي "محصّلة عمليات ذهنية وشعورية معقّدة، فالتفكير وحده لا ينفرد بتشكيل الوعي، هناك الحدس والخيال والأحاسيس والمشاعر والإرادة والضّمير، وهناك المبادىء والقيم ومرتكزات الفطرة وحوادث الحياة والنظم الاجتماعية والظروف التي تكتنف حياة المرء، وهذا الخليط الهائل من مكوّنات الوعي[3] فهو نشاط ذاتي واعي لكل الممارسات الاجتماعية والذّاتية.

3- تمظهرات أزمة الذّات ووعي المقاومة في الدّيوان:

1.3. الكتابة وهاجس الإقصاء:

تتّجه الخطابات المعاصرة على اختلافها نحو صياغة الحقيقة صياغة مُؤدلجة تخدم أهداف موجهيها، ومن هنا يغيب خطاب الحقيقة ليعوض بحقيقة الخطاب، والمتابع لأنواع الخطابات يجد تمسك كل ذات بموضوعية مركزية تصل إلى درجة التأليه والتعالي على كل الممكنات المغايرة، ومن ثمة يسعى كل خطاب إلى اقصاء غيره ووسم أصحابه بكل سمات الانتقاص، إذ تغيب المساءلة الموضوعية التي تفترض طرح الإيجابيات والسلبيات معا ومناقشتها بعيدا عن سياسة التجهيل والتنكيل والاستهزاء[4] فالذّات المركزية تحمل في نفسها نوعاً من البراغماتية المؤمنة بالتّعالي والفوقية والتي تعمل جاهدة بكافة الطّرق إلى دحض الآخر وإقصاء فعاليته في المجتمع وإلى تهميشه فكرياً وعقائدياً "ويهدف الأمر إلى صياغة الوعي العام بما يخدم المصالح الأنوية، وتعبئة الجماهير حتى يؤول الأمر من صراع الخطابات وأصحابها إلى صراع فئوي سمته الهمجية والتعصب الجاهلي والعنف، لذلك نجد أنّ المشاكل المنتشرة في عالم اليوم سواء في الدول الاسلامية أم غيرها من دول العالم، مصدرها هذه التعبئة الموجهة فكل طرف يتحيز لأطروحاته حاكماً بالإقصاء لكل مخالف، ويتعلّق الأمر بإحكام قيمة تطلقها الذات بصفة صريحة أو من خلال مضمرات خطابية " [5].

شكّلت تجربة الشّاعر الاجتماعية وشعوره بالإقصاء والتّهميش من طرف من يحتكرون المعرفة موضع مساءلة من طرف الشّاعر في ظل هيمنة أشباه المثقفين ومحاولتهم صناعة الوعي الزائف في المجتمع وتشتيت سير المعرفة، وهو ما عبّر عنه في قصيدة **<u>أبجدية أصيلة</u>** التي يقول فيها:[6]

أبجدية يسقيها ..
سلسبيل التحدي
تطير خوافقُها ..
من رحم الرماد
يغتال صمتها
في ثغر الفجر

ويعالج خرسها

بتجلي الشمس

على الحصى..

لعل الأبجدية قالب ووعاء لغوي يحيل إلى فعل الكتابة التي تمثّل بشكل أو بآخر رؤية صاحبها تجاه العالم، كما أنّها تطرح مسألة التّعبير والحرّية، فهي بذلك تعمل جاهدة في سبيل تغيير الواقع، وعليه فإنّ الشاعر هو لسان حال وطنه، لذلك لم تقتصر الكتابة على نقل ما هو كائن بل يتعدى دورها إلى كتابة ما يجب أن يكون، وبالتالي فمهمّة الشّاعر تتقاطع بشكل أو بآخر مع الأنبياء في فكرة الرسالة وما يترتّب عن هذه الفكرة من رفض وتهميش وكذلك عدم تقبّل المجتمع لهذا الصّوت الذي يحاول أن يفرض نفسه، ولعل الشّاعر فضّل أن تكون كلمة "أبجدية " نكرة قصد الانكار لا التّعريف، وللدّلالة أيضاً على مسمّى عام غير محدّد، وبذلك تقترن بصفة الأصالة، وهذا ما مثّلته الأبجدية من صدق في التّعبير ومحاولةً منها في إعطاء صورة مماثلة للواقع دون زيف أو تضليل، وكذلك ما تعكسه صفة الأصالة من ثبات وتمسّك بالمعتقدات وأيضاً رفض لما هو هجين وجهاد في سبيل كلمة الحق، حيث يقوم التّحدي بإحياء هذه الأبجدية وإكسابها سمة الاستمرارية و الانسياب تماماً كالنّهر، والأبجدية باستلهامها لعنصر الطّيران تستحضر فكرة الارتفاع والرّقي، وبالتّالي تقوم بتجسيد فكرة الحرّية في أرقى معارجها، وهذا ما تمثّله الأبجدية من صدق في تمرير الخطاب الذي يستهدف بذلك الى تحرير الفكر الانساني من الأوضاع المتردّية، وإلى معانقة منهج محدّد يسلكه القرّاء ويهتدوا به .

يحيل الرّحم إلى سمة العفة والطّهر والنّقاء "من رحم الرماد" وكذلك إلى عملية الولادة وما يترتّب عنها من مخاض وإرهاق التي تؤول بطبعها الى مرحلة الأمومة فتمثّل الحنان والخوف على أبنائها، كما تستهدف أيضاً فكرة التّربية، فالأم "مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق" وهذا ما مثلته الأبجدية من تصدّر ومواجهة ليصير المثقف شهيداً للكلمة كونه يقوم بدوره على تعرية الواقع وإلى قول الحق. أمّا الرّماد فهو محصّلة لفعل الاحتراق وعملية مكابدة، وفكرة الاحتراق عذاب للمحترق، لذلك نجد أنّ معظم الأصوات التي نادت بالتّغيير وإلى الرّغبة في تجاوز ما هو سائد وما هو مألوف تعرّضت للرّفض من قبل المجتمع والسّلطة، فهناك من قاموا بصلبه ثم حرقه كشخصية الحلاج المتصوّف نتيجة تصادم وتعارض فكره مع السّلطة فأصبحت هذه الشّخصية رمزاً للمثقف المعاصر الذي يعيش هاجس التّعبير

وكبح صوته وقت يعاني فيه الكاتب ما يعاني.. من تهميش ومراقبة من طرف السّلطة وتصادم هذه الأطراف مع بعضها البعض، وكذلك محاولة إجهاض صوت الكاتب كابن رشد الذي حرقت كتبه جراء آرائه المتطرّفة التي لم تتوافق وعقلية مجتمعه، كما أنّ الرّماد يحيل إلى أسطورة الفينيق، هذا الطّائر الذي يُبعث من رماده والذي يُمثّل بدوره سمة الخلود والحياة الأبدية وكذلك الأمل في التغيير، ولعل ما يبرر سمة التغيير هو وجود مثقف يأمل ويطمح في التّغيير والتحدّي، هذا الفينيق المعاصر الذي يعيش تحت سلطة الهواجس وتناقضات العصر التي تفرض عليه بشكل أو بآخر تقبّل هذا الواقع السّخيف بكل ضغوطاته السيكولوجية، الاجتماعية والسياسية، كما أنّ هناك مفارقة بين الرّحم والرّماد، فالأوّل يوشي بالولادة والأمومة اللّذان هما محورا عملية الخصوبة، التطوّر والنّمو، أمّا الثاني فيكشف عن الجدب، الموت والنّهاية، لكن لا مستحيل وهناك أمل بعد احتراق وتفحّم، هذا الجانب الباعث للتّفاؤل والسّرور، كما تلعب التقابلات الضّدية التي تفرض حضورها بقوّة في النّص دور الإشاحة عن تناقض وتصادم وتيرة المجتمع بين حاكم ومحكوم، سيد ومسوّد، مثقف وسلطة، عالم وجاهل، ظالم ومظلوم.

أمّا قوله "يغتال صمتها " فنجد أنّ الاغتيال لا يقتصر فقط على السّلاح بل يكون أكثر تجريحاً وقتلاً حين يعمد فيه المركز المغتال إلى كبح حرية الهامش في سبيل قمع صوته والتّنكيل عليه، فيكون بذلك زمن الاغتيال في وقت الفجر"في ثغر الفجر" أي وقت النّور والهداية وارتفاع أسقف الوعي، فالثغر يحيل إلى فعل الكلام وإلى قول كلمة الحق ما دام القائل عاملاً على قدر كبير من الوعي والاتّزان، وهنا يتّضح أنّ الذّات المركزية تقوم بمحاربة صوت الإنسان المثقف الواعي الذي تقتصر مهمته على كشف مآرب الآخر فتسعى جاهدة إلى صدّ كلمته ومجابهته، فالذّات المركزية تحمل في نفسها نوعاً من البراغماتية المؤمنة بالتّعالي والفوقية والتي تعمل جاهدة بكافة الطّرق إلى دحض الآخر وإقصاء فعاليته في المجتمع وإلى تهميشه فكرياً وعقائدياً، فالتّاريخ يشهد على إجحاف السّلطة في حقّ المثقف والمبدع وعملها على إقصاء فعاليتهم في المجتمع من خلال قيام الذّات المركزية بتحريض الشعّب على آراء أصحابها، فيقوم الهامش بدحض آراء الآخر دون خبرة أو معرفة كافية ممّا يخلق جواً من التّصادم والفوضى وكذلك التّعصب.

" ويُعالج خرسها بتجلي الشمس على الحصى " هنا يقر الشّاعر بالإمكانات المتعدّدة ويطرح الحلول المناسبة في سبيل معالجة قضية إجهاض صوت المثقف الرّائي والمستشرف على أسرار المستقبل الغارقة في الفوضى والهواجس، ويكمن العلاج في انبساط الشمّس على الحصى، فالشّمس عنصر من عناصر الطبيعة ومن الأجسام المضيئة فهي الجانب الذي يزوّدنا بالنّور في حياتنا، ولعلها إحالة واضحة عن الثّقافة،وكذلك المعرفة والهداية فتشعّ على الحصى، وهذه الأخيرة تدلّ على القوّة والصّلابة، كما تُحيل أيضاً إلى فكرة البناء والتّرميم التي تصاحب إشكالية المعرفة، كما يوشي الحجر أيضاً بفكرة الصدّ والمقاومة.

يحضر فعل التّهميش والإقصاء في قصيدة **لماذا غيّرتم العناوين؟** التي يقول فيها الشّاعر: [7]

احفروا لحروفي رمساً

حتى لا يُسمع

لي رنين

قال مفدي شعراً

نرتّله كالصلاة

كيف؟ تبعدوا الأرض

عن الجبين

يجسّد الشّاعر تجربة جلد الذّات وتصوير الذّات الانهزامية من خلال محاولة إجهاض عملية الكتابة وقمع صوت الشّاعر، حيث يستحضر الشّاعر تجربة مفدي زكريا الشّعرية كشكل من أشكال المقاومة بالكتابة وإمداده بالقداسة الدّينية المتمثلة في الصلاة، يقول: [8]

فما أنتم وما أنا

إلا بشر

من طين

لماذا الكبر

يعتليكم

لماذا غيّرتم

العناوين

يعمد الشّاعر إلى مساءلة الآخر والفساد الذي ينجم من طرفهم وكذا التكبّر الذي يعتليهم، أمّا العناوين التي يُسائل الشّاعر قومه بها فهي دليل على الزّيف والكذب الذي يطبع عليهم، وبالتّالي شكّلت تجربة التّهميش نتاج مكونات وظروف اجتماعية ومركزية.

2.3.الكتابة ووعي المقاومة:

شكّل وعي المقاومة في النّص الشّعري نتاجاً لتفاعل السّجل السّيري مع الغيري نظير التّشابك الحاصل بين الواقع المجتمعي القاهر والذّات السّجينة، فيتشكل بذلك انصهار الذّات بالوعي المقاوم رغبةً منها في التحدّي والاستمرار وعدم الخضوع لأيّ سلطة تحدّ من حريتها، وهذا ما تجسّد في قصيدة أبجدية أصيلة، يقول: [9]

تزحف برمق...
وتغازل سفحها
في روضة الاحلام
تتوق لسماع دقدقة اليقظة
على الأبواب الصماء
تحدد وجهتها وتتشبث ببوصلتها
كي لا تتيه خطاها

نجد خصوصية الزّحف تمتلكها الكائنات التي يكون انتقالها من مكان إلى آخر عن طريق البطن فتشكل بذلك التواءات في شكلها وكذلك في الدروب التي تمُرّ عليها، وهُنا يُقصد بالالتواءات التي تفترضها اللغة وهي تمارس عملية الابداع المتاخمة بالخيال وسحر الكلمة وبيانها أو لعل تقنية الزّحف تكون شكلاً آخر للعبور وحلاً بديلاً في ظل فشل الطريقة الأولى، فالكتابة لا تُقدم المعنى جاهزاً بل تستدرج القارئ للغوص في تفاصيل النّص ونبش تربة المعنى فيه، لذلك فعدم المباشرة في الطّرح يُفرز بالضّرورة التواءات اللغة المفرطة في تفاصيل الحقيقة وتعميتها. فالعملية الجدلية تكون من النّص إلى القارئ ثم من القارئ إلى النّص ومن الدّاخل إلى الخارج ثم من الخارج إلى الدّاخل، فهي تنشأ من تفاعل القارئ مع النّص بالاستفزاز وعدم تقديم المعنى جاهزاً والذي يُكلف المتلقي مهمة البحث عن المعنى، معانقته بالفهم ثم التأويل، وبالتّالي تحدث عملية كتابة ثانية للنّص وإعطائه بُعداً آخر ومن ثمة فإنّ

تعدّد وتشظي الدّلالات بين قارىء وآخر هذا ما يمنح تجدّد النّص واكتسابه سمة الخلود، فيكون تحرّك اللغة حتى آخر نفس دون تردّد أو هاجس يُقحمها في تداعيات السّكون والجماد.

يتحدث الشّاعر عن حنين اللغة لأصالتها والتي عبّر عنها ب"دقدقة اليقظة على الأبواب الصّماء"، حيث يمثّل الباب العتبة والبداية وكذلك يُوحي بفكرة الاحتماء لكن هذه الأبواب صماء أي أنّها لا تستجيب لطارقها، ولا تفتح نفسها بنفسها ولا تُكلّف نفسها مهمة الاستماع تكتفي فقط بالجمود والسّكون، وهنا إحالة واضحة على أنّ الأبجدية تحتاج أشخاصاً كي ينهضوا بها لأنّها لا تنهض لوحدها. أمّا تعبيره عن تشبث الأبجدية بالبوصلة فهو محاولة للنجاة بعد اغتراب وتيه، فالأبجدية بمثابة بوصلة تُرشد نفسها بنفسها تفادياً للاغتراب وعدم التمكّن من معرفة الدرب الصّحيح، فهي تتشبّث بالمستحيل وتحاول أن تفتك مُرادها من يد الحياة عنوةً في لعبة المتاهات التي غيبتها عنا الممارسة الذّاتية والمركزية، يتابع القول: [10]

ترفع قدميها

من وحل الهزائم

وتجبر جناحها المكسور

وتقف مجددا

على ربي الأماني متأهبةً للطيران

تلعنُ الصمت ألف لعنة

وترجم زمن الركود

تتمرّد عن سجانها ..

وتخرق حدود الخوف ..

يوحي الوحل بالانزلاق وبتعثر الأرجل في إكمال الطريق، كما توحي أيضاً بالانغماس في مآزق تفرض سلطتها على المارين، كما تدل على المجابهة وكذا الصّراع والتحدّي، فرفع قدم الأبجدية من وحل الهزائم هو محاولة نهوض وارتقاء، ولما كان الجناح يمثل فكرة الحرية بكافة رهاناتها حيث يتعرّض للكسر من طرف غيره ممّن هم أكثر قوةً وبطشاً منه، حيث عملوا على الإغارة عليه لأنّه اتخذ من الحرية مذهباً يسلكه ويقتفيه، وبالتّالي فالأبجدية تحاول أن تقف مجدداً من الركّود مُحاولةً بذلك الطيران وإطلاق العنان للإبداع، فاللعنة في حد ذاتها رفض لما هو سائد وتجاوز له، فيكون هذا الرّفض متعلقاً بالصّمت الذي يُقيد صوت الحرية، أمّا

فكرة الرّجم فهي شكل من أشكال الرّفض ومحاولة لمقاومة الضّعف والتشتّت الذي يسيطر على الواقع في ظل هذا الصّمت المباغت عن رؤية الحقيقة واتّضاحها، كما أنّ التمرّد هو خرق للمألوف وللطّبيعة السّائدة وكسر لما هو متعارف عليه، واختصت هذه الرّغبة في تجاوز الثّقافة الطليعية بالتمرّد على السجّان المكلف بتطويق حرية السّجين، وبالتّالي ففي فكرة التمرّد كثير من الصّبر والتي تتبعها ثورة في آخر المطاف، يقول: [11]

ترصع في سماها عقدها اللامع

وتسقي بذرتها

بماء زلال

لا ترضى بالانحطاط

وحكم الغطرسة

أو إعادة عهد العبودية ..

تلبس درع الصبر

وتصوم بلا علن

لتفطر على مائدة الحرية

تكشف السماء عن الخصوصية الملائكية والعالم الأفلاطوني غير المادي، وعن سمة الطهر والنّقاء التي تُجسدها الكلمة في قولها للحق، كما يوشي العقد بالزّينة والجمال وقت السهرة، لتكون الأبجدية هي من يتكفل بمهمّة تثبيتها في السّماء كالنجوم، ولعل هذه الأخيرة هي من تُزين عتمة الليل وتقوم الأبجدية في الأخير بتزيين عتمة الجهل محاولة بذلك تنويره. أمّا البذرة فهي إحالة على فكرة النموّ والتطوّر، كما يدل الماء الزلال على النقاء ومحاولة تقديم الحياة للبذرة عن طريق فعل السقي، ولعل البذرة هي الأبجدية المتعطّشة إلى ساقي يجعلها تنمو وتكبر لتثمر في الأخير، ولعل الثّمار هو فكرة الحرية التي سيجنيها السّاقي أي المثقف والمبدع .وبذلك فالأبجدية تسعى إلى قول كلمة الحق وإلى الثورة على كل ما هو باطل، لأن مهمة المثقف تتمثل في أن يتخذ من كلمته سلاحاً مقابل سياسة التنويم المغناطيسي و التغليف الذي يستعمله أفيون السلطة، وبذلك فالأبجدية تتّخذ من الصّبر درعاً لتحتمي به من الأنا الفوقية والمتعالية في مقابل ما تعانيه من تهميش وإجهاض لصوت مؤلفها وعدم

الاعتراف بهم، فالصبر في حد ذاته هو محصلة لميزة الصّوم وإجهاد للنفس بالعبادة، ولعل الصّوم هنا هو إجهاد لذات لمؤلف في حضرة ما يسمّى بالسّلطة لتفطر في الأخير على "مائدة الحرية"، فالمائدة تحيل إلى الرزق والنّعم وإشباع لرغبة الصّائم الذي يمثله صوت المبدع والمثقف على وجه سواء بتجسيد فكرة الحرّية التي تعاني الكتابة في ظلها الكثير والكثير من أجل الارتقاء لها. كما يتجسّد وعي المقاومة لدى الشاعر في **قصيدة** **أقوامي**: [12]

أقوامي ضعفاء

وأنا أمثّل دور ذو القرنين

أنا المتمرّد عن سياسة العبيد

أسير على الحواف وأشاهد من بعيد

أفقه البيّنة

وأكفر بالمائدة القادمة بعد عيسى

يتشكّل في هذا المقطع الوعي بالذّات الفردية وهو ما عبّر عنه الشّاعر برمزية ذي القرنين التي يتقنّع بها الشّاعر وهو ما يعمل على تأكيد الذّات والاستشعار بقوّتها وارتقائها، في مقابل التّقزيم من ذوات قومه واستصغارهم وهو مفهوم تهكّمي يبرز آليات دفاع الذّات عن نفسها، كما يكشف التمرّد عن سياسة العبيد التي عبّر عنها الشّاعر باعتبارها شكلاً من أشكال الرّفض لكل ما هو تابع يُكرّس لسياسة القطيع، وبالتّالي يتأسّس فكر الشّاعر من مفهوم تجاوزي، تحرّري ضد كل تبعية جمعية، وكذا بحثاً عن مواطن التفرّد والتمايز. كما يعبّر المشي على الحواف عن دلالة الخطر وهواجس الشّاعر من خطر وشيك الأمر الذي يستدعي منه المراقبة من بعيد والحذر من المكيد، وامتلاكه للحجة هذا ما يعزّز وعي الذات بنفسها، أمّا كفر الشّاعر بالمائدة التي تأتي بعد عيسى فيتمثّل في رفض الشّاعر للولائم التي تُقام بهدف التودّد والتقرّب وهو ما يعكس حذر الشّاعر من قومه لأنّ هذه الولائم تستهدف مصالحهم السوسيو اقتصادية، وبالتّالي فهي وعود زائفة ينتحلها هؤلاء بغرض إطاحة الشّاعر، وهو ما عبّر عنه الشّاعر بقوله: [13]

أقوامي هناك نسل الدجلة

وفنّ الخطابات المعسولة...

أقوامي جنوني لا يخطىء مرماه

وأنا الملقى وأنتم الملقون معي

فمتى تلتحم الشّظايا

فالوجهة واحدة وسفينة نوح رحلت منذ الأزل

ولم يبق لنا إلا قوم يونس

هل سنكون من نسله بعد الذنب العظيم؟

يكشف الشّاعر عن هوية قومه ويصفهم بأنّهم أهل مكر وخديعة ويبرز دورهم في تشكيل الوعي الزّائف وامتلاكهم لسلطة القول وتمريرهم للخطب المعسولة، أمّا توظيف الشّاعر لرمزية سفينة نوح فيحمل رمزية النّجاة التي عبّر الشاعر عن انقضاء وقتها وهذا ما يعكس فشل الشّاعر في إيجاد درب نجاة ينقذه هو وقومه من الهلاك كونه تجمعه وإيّاهم نفس الوجهة ونفس الجغرافيا، الأمر الذي يستحيل إيجاد منفذ نجاة وتوفّره، كما يشيد الشّاعر ببقاء قوم يونس وهذا ما يعكس كفر قومه ورفضهم لكل أشكال الوعي وغضب الشّاعر من شيمهم، الأمر الذي يدفع به إلى هجرهم، كما تكشف تجربة سيدنا يونس عن مكابداته في بطن الحوت وصبره على العذاب، أمّا سؤال الشّاعر في نهاية المقطع فهو سؤال وجودي قيمي يعكس حيرة الشّاعر في معرفة هوية مجتمعه واستقراء أسرار الوجود وكذا بحثه عن سبل النّجاة من قومه الظالم.

3.3 .الذّات والوعي بالعالم:

تنطلق عملية الكتابة من بُعد ذاتي ينصهر معه تكوين اجتماعي ليحقّق وعي الفرد بالجماعة، حيث تشكّل عملية الكتابة تأكيداً لذات الفرد في مقابل وعي جمعي "يرى جولدمان Lucien Goldman أنّ الأعمال الأدبية لا تعبّر عن الأفراد، وإنمّا تعبّر عن الوعي الطّبقي للفئات والمجتمعات المختلفة، بمعنى أنّ الأديب وإن كان فرداً، لكنه يختزل فيه ضمير الجماعة، ورؤية الجماعة التي ينتمي إليها، هذه هي النقطة الأولى في نظرية جولدمان Goldman، فالأدب ليس نتاجاً فردياً، ولا نعامله باعتباره تعبيراً عن وجهة نظر شخصية، لأنّ وجهة النّظر هذه تتجسّد فيها عمليات الوعي الجماعي والضّمير الجماعي، وأكثر من ذلك، كلّما كان الأديب على درجة عالية من القوّة والعمق كان تجسيده للمنظور الجماعي أوضح وأقوى[14] وبالتالي فإنّ نظرية جولدمان الاجتماعية ترى في الإبداع اختزال لمكوّنات وظروف

اجتماعية تنصهر مع بعضها البعض لتكوين رؤيا العالم "إنّ نقطة الاتّصال بين البنية الدّلالية والوعي الجماعي الطّبقي، هي أهم الحلقات عند جولدمان Goldman والتي يطلق عليها مصطلح (رؤية العالم)، فكل عمل أدبي يتضمّن رؤية للعالم، ليس العمل الأدبي المنفرد فحسب، لكن الإنتاج الكلّي للأديب، ولعصر معين، وعن طريق رؤية العالم يمكننا أن نرى بشكل صاف كيفية تبلور العلاقة الخلّاقة بين الأعمال الإبداعية من ناحية والوقائع الاجتماعية الخارجية من ناحية ثانية [15] وعليه فإنّ رؤيا لعالم هو مفهوم اجتماعي وإيديولوجي يجسّد تطلّعات الشّاعر ووعيه بتناقضات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية وكذا الإنسانية وسعيه نحو الثورة والتّغيير.

جسّد الشّاعر رؤيا العالم من خلال رؤاه الثّورية حيال الظّلم ومساندته للقضايا الإنسانية وكذا تحقيقه للوعي الوطني والقومي وذلك يتمثل في خوضه في المسكوت عنه في البلد وتسليط الضّوء عليه، وهو ما عبّر عنه في قصيدة **محرقة بلادي**، حيث يقول: [16]

أهو البشر صار يُحتطب
تهون الأرواح يصدمنا الخطب
بلادي تحترق تفقد زهرتها
ينوح بلبلها يحرسه العطبُ
لماذا؟ الإجرام فينا يُرتكب

يقوم الشّاعر بمساءلة العمليات الإجرامية التي استهدفت حرق الغابات في الجزائر من خلال تسليط الضّوء عن براثن الفساد والإجرام الحاصل في البلد والغريزة الانتقامية التي تغذي أعداء الوطن، وكلها ممارسات تعبّر عن افتقاد الإنسانية من طرف هؤلاء وتعبّر حالة اللامعنى والتشظّي التي نعيشها في غياب سلطة رقابية تُدين هذه الجرائم وتجابهها؛ يتابع القول: [17]

بلادي تفقد سربال خضرتها
لماذا؟ القلوب صارت تنتحب
حقود جاء يحمل جذوته
بنار الغدر يزدردنا اللهب
نشاطر الوجع أينما كان

فبعد الفحم يلمع الذهب

وتمطر السماء غيثا مدرارا

ويُخلفنا الله ما كان يُنتهب

يبدي الشّاعر مساندته المعنوية لعائلات الضّحايا وأسفه الشّديد على كل ما يحدث في الوطن من حرائق التي افتعلها أعداء البلد من انتهاكات في حق الإنسانية، كما يأمل الشّاعر في استعادة الطبيعة لخضرتها. كما يجسّد الشّاعر موقفه من القضية الفلسطينية ويبدي التزامه تجاه القضايا الإنسانية العادلة وتضامنه معها، وهو ما ضمّنه في قصيدة **حفيف الأفاعي**، حيث يقول: [18]

القدس تشكو حفيف الأفاعيا

يا دمع سال أثار أوجاعيا

الصّمت طال جليده فينا

القدس أرضي فخابت مساعيا

أهل التّطبيع بعارهم أدلوا

أهل الخيانة دنّسوا متاعيا

ينتقد الشّاعر الضّمير العربي الخائن للقضية الفلسطينية ويُحمّله مسؤولية ما يجري من ممارسات إجرامية في فلسطين، وما تُعانيه الإنسانية من انتهاكات جرّاء الصّمت العربي الغافل عن هذه الكرنفالات الدّموية، يتابع القول: [19]

الجور جار بأهلي غدرا

كيف الأمان مع الأفاعيا

أين الصّلاح صلاح الأمة

تاه القطيع بلا راعيا

الموت صار رخيس فينا...

أين الضمير؟ أليس واعيا!

يُدين الشّاعر الوعي العربي الزّائف ويُعاتب المواقف اللاإنسانية عن هذا العالم، وكذا الصّمت العربي الذي يسترخص الموت في مقابل غياب حركة المقاومة والنخّوة العربية.

4. خاتمة:

في الأخير؛ يمكننا القول أنّ ديوان رفقاً أيها الدهر للشّاعر رمضان بن لطيف هو تجربة فردية تغوص في بؤرة الذات وأزماتها وقد حاولنا رصد انشغالات الذّات بتسليط الضّوء على الوعي الاجتماعي باعتباره رافداً مصاحباً لعملية الإبداع وسعي الذّات لمقاومة التشظّي والاغتراب، وقد أسفرت الدّراسة للتوصّل إلى النّتائج الآتية:

- تعد تجربة الشاعر رمضان بن لطيف تجربة إنسانية أبدت التزامها حيال المواقف العادلة من العالم.
- احتفت التّجربة الشّعرية بجدلية الذّات والموضوع من خلال تبلور وعي المقاومة كوعي مضاد لكل أشكال القهر والتّهميش.
- وظّف الشّاعر التّناص الدّيني والقرآني الأكثر تعبيراً عن سموّ الذّات ووعيها بنفسها كقوّة ذي القرنين وصبر أيوب وفداء المسيح وكذا معاناة أيوب.
- عمد الشّاعر إلى مساءلة الوعي العربي الزّائف وتوجيه أصابع الاتّهام له حيال ما يحدث في الوطن والعالم من قتل ودمار.
- وظّف الشّاعر المعجم الأسطوري كأساطير الموت والميلاد كدليل على خاصية البعث والاستمرارية.
- شكّلت القضية الفلسطينية محل عناية من طرف الشّاعر وذلك بإدانته للضّمير العربي وتحميله مسؤولية خيانة القضايا الإنسانية.

5. قائمة مصادر البحث ومراجعه:

1. رمضان بن لطيف: رفقاً أيّها الدّهر، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، 2022.
2. حامد عبد السلام زهران : الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، دت.
3. راجع أحمد عزت : أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2 ، 1995 .
4. صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة،1980 .

5. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002.

6. عبد الكريم بكار: تجديد الوعي، دار القلم، دمشق، ط1، 2000.

7. غزلان هاشمي: قراءة في تحيزات الخطاب في الفكر العربي المعاصر " نماذج مختارة "، دار خيال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.

6. الإحالات والهوامش:

[1] - حامد عبد السلام زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، دت، ص 65.

[2]- راجع أحمد عزت: أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2 ، 1995 ، ص 132 .

[3]– عبد الكريم بكار: تجديد الوعي، دار القلم، دمشق، ط1، 2000، ص 10.

[4] - غزلان هاشمي: قراءة في تحيزات الخطاب في الفكر العربي المعاصر " نماذج مختارة "، دار خيال للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص 10.

[5] - المرجع نفسه.

[6] - رمضان بن لطيف: رفقاً أيّها الدّهر، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعريريج، الجزائر، 2022، ص 5.

[7] - الديوان، ص 42.

[8] - الديوان، ص 42- 43.

[9] - الديوان، ص 5.

[10] - الديوان، ص 5.

[11] - الديوان، ص 5.

[12] - الديوان، ص 30.

[13] - الديوان، ص 30- 31.

[14] - صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 57 – 58.

[15] - صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002، ص 59.

[16] - الديوان، ص 63.

[17] - الديوان، ص 63.

[18] - الديوان، ص 69.

[19] - الديوان، ص 69.